(٦١)

باب ما جاء في كثرة الحلف

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب ما جاء في كثرة الحلف).

ش: أي من النهي عنه والوعيد.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقول الله تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]).

ش: قال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير. وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا.

والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس، فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه) [(١)].

ش: أي البخاري ومسلم. وأخرجه أبو داود والنسائي.

والمعنى: أنه إذا حلف على سلعته أنه أعطي فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب وحلف طمعًا في الزيادة، فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة.

فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسًا. وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط [(٢)] **زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٦]، حديث (٢٠٨٧)، ومسلم، كتاب: المساقاة، باب: النهي عن الحلف في البيع، حديث (١٦٠٦)، وأبو داود، حديث (٣٣٣٥)، والنسائي، حديث (٤٤٦١).

(٢) أشيمط: مصغر أشمط: وهو من ابيضَّ بعض شعر رأسه كبرًا واختلط بأسوده.

بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» [١] **رواه الطبراني بسند صحيح).**

ش: وسلمان لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة، وشهد الخندق، روى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما. قال النبي ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت** [٢]، **إن الله يحب من أصحابي أربعة: عليًا، وأبا ذر، وسلمان، والمقداد**» [٣] أخرجه الترمذي وابن ماجه.

قال الحسن: كان سلمان أميرًا على ثلاثين ألفًا يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها. توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. قال أبو عبيدة: سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة. ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي.

قوله: (ثلاثة لا يكلمهم الله) نفي كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة دليل على أنه يكلم من أطاعه. وأن الكلام صفة من صفات كماله.

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه. وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين: قيام الأفعال بالله سبحانه، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئًا فشيئًا ولم يزل متصفًا به.

فهو حادث الآحاد قديم النوع، كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث.

وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضًا. وذلك في القرآن كثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإذا قالوا لنا يعني النفاة: فهذا يلزمه أن تكون الحوادث قائمة به؟ قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٦)، حديث (٦١١١) وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٠٧٢)، صحيح الترغيب (١٧٨٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٩١)، حديث (٦٥٤١)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢١٢)، حديث (٦٠٤٠) من طريق كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده مرفوعًا. وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٣٠): «وفيه كثير بن عبد الله المزني وقد ضعفه الجمهور»، وانظر ضعيف الجامع (٣٢٧٢)، الضعيفة (٣٧٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث (٣٧١٨)، وابن ماجه، حديث (١٤٩) من حديث بريدة. وفي إسناده شريك بن عبد الله وهو صدوق يخطئ كثيرًا وأبو ربيعة وهو مقبول أي عند المتابعة. وانظر ضعيف الجامع (١٥٦٦)، الضعيفة (١٥٤٩).

تتضمن ذلك مع صريح العقل.

ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الأعراض والنقائص، والله تعالى منزه عن ذلك - ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله ونحو ذلك، مما دل عليه الكتاب والسنة.

والقول الصحيح هو قول أهل العلم والحديث الذين يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما من أئمة السنة، انتهى.

قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم.

قوله: (ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات.

قوله: (أشيمط زانٍ) صغره تحقيرًا له وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا: محبة المعصية والفجور، وعدم خوفه من الله.

وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها على المعصية فينتهي ويراجع.

وكذلك العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر؛ لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة. والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيعة له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي.

قوله: (ورجل جعل الله بضاعته) بنصب الاسم الشريف، أي الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه.

وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحدًا فتوحيده ضعيف وأعماله ضعيفة بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وفي الصحيح، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ - ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا

يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن [١]» [٢].

ش: قوله: وفي الصحيح أي صحيح مسلم. وأخرجه أبو داود والترمذي، ورواه البخاري بلفظ (خيركم).

قوله: (خير أمتي قرني) لفضيلة أهل ذلك القرن: في العلم والإيمان والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخير فيها وكثر أهله، وقل الشر فيها وأهله واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء.

(ثم الذين يلونهم) فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعي إليه والراغب فيه والقائم به. وما ظهر فيه من البدع أُنكر واستُعظم وأُزيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت، فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل فيمن عاند منهم ولم يتب.

قوله: (فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟) هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين رضي الله عنه. والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث دون الأولين في الفضل، لكثرة ظهور البدع فيه، لكن العلماء متوافرون والإسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء.

فقال: (ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون) لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق، وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم.

قوله: (ويخونون ولا يؤتمنون) يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم.

قوله: (وينذرون ولا يوفون) أي: لا يؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم.

قوله: (ويظهر فيهم السمن) لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها.

وفي حديث أنس: «**لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**»

---

(١) أي: يحبون التوسع في المآكل والمشارب وهي أسباب السِّمن.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث (٣٦٥٠)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث (٢٥٣٥)، وأبو داود، حديث (٤٦٥٧)، والترمذي، حديث (٢٢٢١).

قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ [١]، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى فيمن ينتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» [٢].

قال إبراهيم [٣]: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار [٤]).

ش: قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا ونسي المعاد، فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملاً وأداء، لقلة خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك.

وهذا هو الغالب على الأكثر. والله المستعان. فإذا كان هذا قد وقع في صدر الإسلام الأول فما بعده أكثر بأضعاف. فكن من الناس على حذر.

قوله: (قال إبراهيم). هو النخعي.

(كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار)، وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به.

وفي هذا رغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، حديث (٧٠٦٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث (٢٦٥٢)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم...، حديث (٢٥٣٣).

(٣) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي، أبو عمران. من الصغرى من التابعين. ثقة؛ إلا أنه يرسل كثيرًا، فقيه، كان عجبا في الورع، والخير، متوقيًا للشهرة، رأسا في العلم. توفي سنة (١٩٦هـ). انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث (٣٦٥١) بهذا اللفظ، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم...، حديث (٢٥٣٣) بلفظ: «كانوا ينهوننا ونحن غلمان عن العهد والشهادات».